دراسة التشابه والتفاوت بين «إذا» و «إن» الشرطية معتمداً على الأمثلة القرآنية

محمد كاكلي[1]

الملخّص

إنّ القرآن الكريم يعدّ معجزاً خالداً ويحتوى على أساليب مختلفة ومتنوعة حيث تجعله موقعة في القلب، فتعدّ منها أسلوب الشرط الذي يتكوّن من ثلاثة أجزاء منها فعل الشرط والجزاء وأداة الشرط. وتعدّ أداة الشرط من أهمّ عناصر اسلوب الشرط، وذلك لأنّ الأداة هي التي تربط الجملتين المنفصلتين بعضهما عن بعض وتصيّرهما جملة واحدة لايتمّ المعنى إلا بهما، فهنا سُلِّط الضوءُ على الأداتين منها «إن» و «إذا» لأنّهما كثُر استخدامهما في القرآن الكريم ويتصوّر خطأً أنّه ليس أى فرق وتفاوت بينهما، ومعناهما معنى واحد حيث يمكن أن تأتي «إن» مكان «إذا» وبالعكس، فللردّ على هذا التصور، تم الدراسة بدراسة وصفيةـ تحليلية في وجوه التشابه والتفاوت بينهما معتمداً على الأمثلة القرآنية بغيةَ العثور على استيعاب معنى كل منهما وظرائف القرآن الكريم في استخدام هاتين الأداتين فبعد الفحص والبحث، حُصل على خمس ميزات تتشارك «إن» و «إذا» فيها وثماني ميزات تعدّ من وجوه التفاوت بينهما ومن اللافت للنظر أنّه لميسبق أحد بدراسة هذا الموضوع بمنهج تبنّى في هذه المقالة.

الكلمات الرئيسية: إذ، إن، أدات الشرط، الشرط، أسلوب الشرط.

---

١. طالب المستوى الثالث بمدرسة الشهيدين عليهما السلام الدينية بقم المقدسة.

۱. التمهید

إنّ مما لا ریب فیه، أنَّ القرآن الکریم هو یُعدّ معجزاً خالداً قال فیه سبحانه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. (الإسراء، ۸۸)

ولا ریب کذلك، أنّ الاستعمال القرآني في غایة الدقة، ولاینبغي أن نتصورّ في لفظة لو تأخرت أو تقدّمت لکانت أحسن، أو لاینبغي أن نتصور في أذهاننا حرفا لو استعمل بدلا من الحرف المستعمل في القرآن، لکان أدقّ وأبلغ.

وممّا ورد في الاستعمال القرآني «إن» و «إذا» التي تعتبر من أداة الشرط، وأداة الشرط تُعدّ جزءاً أساسیاً من أسلوب الشرط بجانب الرکنین الآخرین وهما فعل الشرط وفعل الجزاء، وهذه الثلاث، تکوّن أسلوب الشرط الذي ورد کثیراً في القرآن الکریم.

وأداة الشرط تنقسم إلى الحرفیة والإسمیة وباعتبار آخر تنقسم إلى الجازمة وغیر الجازمة، فتُعدّ «إذا» من أداة الشرط الإسمیة غیر جازمة و «إن» تُعدّ من أداة الشرط الحرفیة جازمة ولکل منهما معنى خاص ومجال للاستخدام.

وبإلقاء نظرة فاحصة إلى المقالات التي تتمحور حول هذا الموضوع (الفاطمي صدر، ۱٤۰۱؛ اندرزگو، ۱۳۹۸؛ فتحي زیدان، ۲۰۰۵ م) نفهم أنّ هولاء الباحثین قد قاموا بالبحث عن إحدى من هاتین الأداتین من الشرط تارکاً الاخرى ولم‌تقیسو إحدى الأداتین بالآخر أو لیست مقالاتهم جامعاً وقد ذکر فیها ما لا جدوى له، وإنّ في هذه المقالة تسلّط الضوء على ذکر وجوه التشابة والتفاوت بین هاتین الأداتین معتمداً على الأمثلة القرآنیة تارکاً مما لا جدوى من ذکره ومن اللافت للنظر أن یذکر أنّ هذا الموضوع لم‌یتطرّق إلیه أحدٌ بهذا الشکل حتى الآن.

فلابدّ من توضیح بعض الاصطلاحات التي تورد في البحث تمهیداً لما یأتي لاحقاً.

وبعد ذلک سیُذکر توضیح کل من هاتین الأداتین من الشرط، وبعد التعرف على معناهما، سیذکر وجوه التشابه والتفاوت بینهما معتمداً على الأمثلة القرآنیة.

۲. توضیح المفاهیم

نتطرّق في هذا القسم إلى توضیح المفاهیم الأساسیة تمهیداً للدخول في البحث.

٢ـ١. توضيح الشرط

كما ذُكِرَ آنفاً أنّ أسلوب الشرط يتكوّن من ثلاثة أجزاء وهي أداة الشرط وفعل الشرط وفعل الجزاء وينبغي أن يسلّط الضوءُ على معنى الشرط والعلاقة ألتي هي بين جملتين الشرط و الجزاء.

فمعنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره (المبرد، بی‌تا، ج ٢، ص ٤٦) أي أن يتوقف الثاني على الأول. (الزركشي، ١٣٧٦هـ، ج ٢، ص ٣٥٤) فإذا وقع الأول وقع الثاني وذلك نحو «إن زرتني أكرمتك» فالإكرام متوقف على الزيارة، ونحو قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**﴾ (البقرة، ١٩١) وقوله: ﴿**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**﴾ (البقرة، ١٩٦) وقوله ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾. (البقرة، ٢٨)

هذا هو الأصل وقد يخرج الشرط عن ذلك فلايكون الثاني مسبباً عن الأول ولا متوقفاً عليه، وذلک نحو قوله تعالى: ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾ (الأعراف، ١٧٦) فلهث الكلب ليس متوقفا على الحمل عليه أو تركه فهو يلهث على كل حال وإنّما ذكر صفته فقط. ونحو قوله: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾، (آل عمران، ٣٢) والله لايحب الكافرين سواء تولوا أم آمنوا فليس الثاني مشروطاً بالأول و لامسبباً عنه.

فليس الشرط على هذا من باب السبب والمسبب دوماً وإنّما الأصل فيه أن يكون ذلك.

وقد أشير إلى هذه الملاحظة، في كتب متعددة من النحويين. (رضي الدين الأسترآبادي، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٧٢؛ صبان، بی‌تا، ج ٤، ص ٢٢)

٢ـ٢. توضيح أدوات الشرط

تعدّ الأداة من أهمّ عناصر الجملة الشرطية، وذلك لأنّ الأداة هي التي تربط الجملتين المنفصلتين بعضهما عن بعض وتصيّرهما جملة واحدة لايتمّ المعنى إلا بهما، فإذا انحل الرباط الواصل بين طرفي المجازاة عاد الكلام جملتين كما كان. (الزركشي، ١٣٧٦، ج ٢، ص ٣٥٢)

وأوّل من استعمل مصطلح الأدوات للدلالة على العنصر الأول من الجملة الشرطية هو إبن شجري، بقوله: «أدوات الشرط»، فكل من سبقه من النحويين لم‌يطلق مصطلح الأدوات الشرطية بل كانوا يستعملون مصطلح حروف الجزاء أو حروف الشرط أو عوامل المجازاة بها في هذه

الأدوات من أسماء وحروف. (الشمسان، ١٩٨١م، ص ١٠٥ و ١٣٦)

يتسنّى أن يُلخّص تصنيف الأدوات الشرطية، بناءاً على الاعتبارات التي اعتمدها النحاة فيما يلي:

الحرفية والإسمية

العمل النحوي

بالنسبة إلى الحرفية و الإسمية، كان النحاة على اتفاق تام في تقسيم الأدوات الشرطية على حروف وأسماء (والأسماء ظروف أو غير ظروف)، ولكنهم اختلفوا في تعيين بعض الأدوات وتصنيفها ضمن هذين القسمين، مثال ذلك الأداة «إذما» فهناك من يجعلها ضمن الحروف وهناك من يجعلها ضمن الأسماء.

فتعدّ «إذا» من أداة الشرط الإسمية (علي بن سليمان، تحقيق الدكتور هادي عطية، ١٤٠٤ ق، ج ١، ص ٤٦٢ـ٤٥٩) و «إن» من أداة الشرط الحرفية دون أيّ خلاف. (ابن هشام الأنصاري، ١٤٢٩ ق، ج ٤، ص ٢٠٤)

وبالنسبة إلى العمل النحوي، تترك الأداوات الشرطية أثراً إعرابياً على كل من فعل الشرط و جوابه بعد أن تعمل الربط بينهما، والأثر الإعرابي الذي تتركه هو الجزم. وعلامة الجزم تظهر على الفعل المضارع فإذا لميكن مضارعاً فالفعل الذي في موضعه يكون في محل الجزم. وينجزم فعل الشرط بأداة الشرط باتّفاق النحويين جميعاً، أمّا الجواب ففي عامل جزمه خلاف.

ولكن هناک أدوات شرطية تقوم بالربط بين فعل الشرط و الجواب دون الجزم، على هذا الأساس قسّم النحويون الأدوات الشرطية بحسب العمل على قسمين: أدوات جازمة وأدوات غير جازمة أو أدوات عاملة وأدوات غير عاملة أو أدوات رابطة جازمة و أدوات رابطة غير جازمة. (الشمسان، ١٩٨١ م، ص ١٩٩)

فـ «إذا» تعدّ من أداة لاتجزم بها (علي بن سليمان، تحقيق الدكتور هادي عطية، ١٤٠٤ ق، ج ١، ص ٤٦٢ـ٤٥٩) و «إن» تعدّ من أداة تجزم بها. (ابن هشام الأنصاري، ١٤٢٩ ق، ج ٤، ص ٢٠٤)

فالآن بعد التعرّف على هذه المفاهيم الأساسية، توفّرت الأرضية للورود في صلب الموضوع.

٣. إذا

نتطرّق في هذا القسم إلى توضيح «إذا» والبعض من صفاتها.

٣ـ١. توضيح إذا

إن «إذا» على وجهين:

الأول أن تكون للمفاجئة والثاني أن تكون لغير المفاجئة ـ فهناك تم الدراسة في وجه الثاني بما أنّه يناسب بحثنا في هذه المقالة ـ وهي تعدّ إسماً مبنياً وقد استدل على إسميتها وبنائها السيوطي.[١]

والثاني هو أن تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان تتضمّن معنى الشرط غالباً، فتكون من أدوات الشرط غير الجازمة، ويمكن أن تكون أُمّا لهذا النوع من الأدوات كما كانت «إن» أُمّ الأدوات الشرطية الجازمة. (فؤدة، ١٩٧٦ م، ص ٤٩)

أمّا معنى الشرط فيها فقد ذكره أكثر النحاة، وإنّما عدّت من أدوات الشرط، لشبهها بها من حيث إنّها تقتضي جملتين بعدها فتربط بينهما تلازماً كما هي الحال في أدوات الشرط العاملة، فتعلّق حصول إحداهما بحصول الأخرى، فتصير الأولى شرطا والثانية جواباً، وذلك نحو: «إذا جئتني أكرمتك»، فتعلّق الإكرام على حصول المجيء.

وحقيقة الشرط في «إذا» تختلف عن أدوات الشرط العاملة، وذلك أنّ «إذا» تعيّن وقتاً تعلّق جوابها بشرطها ولهذا جعلها سيبويه بمنزلة «إذ» في الماضي، ثمّ قال: «ويبيّن هذا أنّ «إذا» تجيء وقتاً معلوماً ألا ترى إنّك لو قلتَ: «آتيك إذا احمرّ البسر» كان حسناً، ولو قلتَ: «آتيك إن احمرّ البسر» كان قبيحاً. فـ «إن» أبدا مبهمة وكذلك حروف الجزاء. و «إذا» توصل بالفعل فالفعل في «إذا» بمنزلة في «حين» كأنّك قلت: «الحين الذي تاتيني فيه آتيك فيه». (سيبويه، ١٤٠٨ ق، ج ٣، ص ٦٠)

وقد أوضح عبدالقاهرالجرجاني معنى الشرط في «إذا»، فذكر أنّ في «إذا» تعيينا وتخصيصاً، نحو: «آتيك إذا احمرّ البسر»، ومعناه «آتيك وقت احمرار البسر»، و «احمرار البسر» له وقت معلوم، ولهذا

---

١. السيوطي: «والدليل على إسميتها، الأخبار بها مع مباشرتها الفعل، نحو: القيام إذا طلعت الشمس، وإبدالها من إسم صريح نحو: أجيئك غداً إذا طلعت الشمس» و «أما بنائها فبدليل تضمنها معنى إن الشرطية إن كانت متضمّنة لها وافتقارها إلى الجملة المضافة إليها إن لم تتضمنه». (جلال الدين السيوطي، بی‌تا، ج١، ص٢٠٦)

فلايكون ما بعدها علة في حصول جوابها لتعيّن وقوعه، ولأنّهم وضعوها على ما يناسب التخصيص ويبعد عن الإبهام، وحقّ ما يُجازَى به أن يكون مبهماً، ولكنّه لما تعلّق جوابها والتزم حصوله عند وقت حصول شرطها صار كأنّه سبب في حصول جوابها. (الجرجاني، ۱۹۸۲ م، ص ۱۱۱۸)

فالأصل في «إذا» أن تكون للمقطوع بحصوله، وللكثير الوقع، والدليل عليه استعمالها في الأغلب الأكثر في هذا المعنى، فمن المقطوع بحصوله قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة، ۱) لقطع علام الغيوب سبحانه بالأمور المتوقعة وهناك الأمثلة القرآنية الأخرى تذكر لاحقا في فصل وجوه التشابه والتفاوت. (رضي الدين الأسترآبادي، ۱۹۹٦ م، ج ۲، ص ۱۰۸؛ السامرائي، ۱٤۲۸ ق، ج ٤، ص ٦۱)

فمن توضيح عبدالقاهر الجرجاني نفهم أن الشرطية في «إذا» ليست حقيقياً خلاف سائر أدوات الشرط.

فـ «إذا» على هذا الوجه الثاني تختص ببعض الصفات التي تأتي لاحقاً.

۳ـ۲. صفات إذا

في هذا القسم نتطرق إلى ذكر صفات إذا لنتعرف عليها بالكامل.

۳ـ۲ـ۱. دخولها على الجملة الفعلية

إنّها إذا تضمّن معنى الشرط، تشبه سائر أدات الشرط في اختصاصها بالدخول على الجملة الفعلية وبالاحتياج إلى الجواب.

إنّ سيبويه يذكر اختصاصها بالجملة الفعلية بعدها ويوافقه ابن هشام والآخرين من النحويين في ذلك.[۱] (وكثر مجيء الماضي بعدها مراداً به الاستقبال). وزعم الفرّاء أنّ «إذا» إذا كان فيها معنى الشرط، لايكون بعدها إلا الماضي». (جلال‌الدين السيوطي، بی‌تا، ج ۳، ص ۱۸۰)

ويقول المبرد: لأنّ «إذا» فيها معنى الجزاء، ولايكون الجزاء إلّا بالفعل، تقول: «إذا أعطيتني أكرمتك و إذا قدم زيد آتيتك». (المبرد، بی‌تا، ج ٤، ص ۳٤۷)

وإيلائها الفعل لميمنع أن يأتي بعدها إسم، ف «إذا» شأنها شأن «إن»، نحو قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ

۱. سيبويه، ۱٤۰۸ ق، ج۳، ص٦۰؛ ابن هشام، ۱٤۱۰ ق، ج۱، مبحث إذا؛ ابن يعيش، ج٤، ص۹٦؛ المرادي، ۱٤۱۳ ق، ص۳٦۷)

انْشَقَّتْ﴾؛ (الانشقاق، ١) إنّه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير، لا مبتدأ، خلافا للأخفش، إنّه يجيز كليهما. (المرادي، ١٤١٣ ق، ص ٣٦٨؛ جلال الدين السيوطي، بی‌تا، ج ٣، ص ١٥١)

ولتضمّن «إذا» معنى الشرط فإنّها بحاجة إلى جواب فهي بمنزلة أدوات الشرط في طلب الجواب، وفي ذلك يقول المرادي إنّها متضمّنة معنى الشرط، ولذلك تجاب بما تجاب به أدوات الشرط. (المرادي، ١٤١٣ ق، ص ٣٦٧) وجوابها يكون جملة فعلية، نحو: «إذا جئتني أكرمتك»، و «إذا تخرج أخرج» وإذا كان جوابها غير ذلك فإنّه تدخل عليه «الفاء» كما دخلت في جواب «إن»، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾. (الأنفال، ٤٥)

والأفعال التي تأتي في الشرط والجواب بعد «إذا» تكون حسب الجدول التالي:

جملة الشرط	المثال	جملة الجواب	المثال
مضارع	﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾	مضارع	﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء، ١٠٧)
ماض	﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾	ماض	﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ (الروم، ٣٦)
ماض	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾	مضارع	﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (المنافقون، ٤)
مضارع	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾	ماض	﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ (الأنفال، ٣١)

والجدير بالذكر أنّه تغلب صيغة الفعل الماضي على الصيغ التي تلت هذه الأداة، كما يرى النحاة ذلك، إذ يقول ابن هشام: (ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً، و مضارعا دون ذلك). (ابن هشام، ١٤١٠ ق، ج ١، ص ٩٦)

والأمر الثاني أنّ فعل الشرط جاء مضارعا بعد «إذا» والجواب ماضياً في القرآن الكريم رغم أنّ النحاة اعتبروا مجيء هذه الصورة قليلاً و خصّه الجمهور بالشعر. وفاتهم أن يشيروا إلى مجيء هذه الصورة في الذكر الحكيم ضمن حديثهم عن صيغ فعلي الشرط والجواب.

٣-٢-٢. عمل إذا

تتضمّن «إذا» معنى الشرط إلا أنّها لاتجزم المضارع الذي يليها إلا في الشعر وهو مذهب الخليل وسيبويه وجمهور النحاة. (المرادي، ١٤١٣ ق، ص ٣٦٧) وعلة عدم الجزم بها في السعة عند الجمهور، مخالفتها لأدوات الشرط العاملة في معنى الإبهام، ولأن الجملة الفعلية بعدها في موضع

الجر بالإضافة فلاتعمل «إذا» الجر والجزم في وقت واحد، (الكريري، ١٤٢٥ ق، ص ١٣٠) وهذا ما حكاه سيبويه عن الخليل، حيث يقول: (وسألته عن إذا، ما منعهم أن يجازوا بها؟ فقال: الفعل في إذا بمنزلته في إذ...، ويبيّن هذا أنّ إذا تجيء وقتاً معلوماً). (سيبويه، ١٤٠٨ ق، ج ٣، ص ٦٠). كما يقول المبرد: (وإنّما منع «إذا» من أن يجازى بها لأنّها موقّتة، وحروف الجزاء مبهمة، ألا ترى أنّك إذا قلت: «إن تأتني آتك» فأنت لاتدري أيقع منه إتيان أم لا؟) (المبرد، بی‌تا، ج ٢، ص ٥٤)

من اللافت للنظر أن يذكر قول آخر: «وقد يُجزَم بإذا الاستقبالية حملاً على «متى»، وتهمل «متى» حملاً على «إذا»، فلم يَخُصَّ جزمها بالشعر، وهذا يدلّ على جواز جزمها في الكلام». (ابن مالک، ١٤٣٧ ق، ص ٢٣٧) وفي الشواهد التوضيح: «... أن يكون «متى» شبّهت بـ «إذا» فأُهملَت، كما شَبّهت «إذا» بـ «متى» فأعملت...، و هو في النثر نادر وفي الشعر كثير». (ابن مالک، ١٤٠٥ ق، ص ١٨)

٣ـ٢ـ٣. خروجها من بعض معانيها

كما ذكر سابقاً أنّ «إذا غير المفاجئة» تحتوى على معنى الظرفية والاستقبال والشرط، وقد تخرج عن كلّ من هذه المعاني الثلاثة.

الجدير بالذكر أنّ النحويين يتّفقون على أصل خروج «إذا» من معناها الغالبي، ولكن اختلفوا في أيّ معنى تتركه «إذا».

فنتابع البحث في ثلاثة فصول:

٣ـ٢ـ٣ـ١. خروجها عن الظرفية

زعم قومٌ أنها تخرج عن الظرفية، فقال ابن مالک: إنّها وقعت مفعولا به في حديث: «إني لأعلم إذا كنت عنّي راضية، وإذا كنت عليَّ غضبي»[١]، ومبتدأ في قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة، ١) والخبر «إذا» الثانية، و ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ (الواقعة، ٣) بالنصب حالان، والمعنى وقت وقوع الواقعة، خافضة لقوم، رافعة لآخرين، هو وقت رَجّ الأرض.

---

١. من حديث عائشة، رواه البخاري في كتاب النكاح (باب غيرة النساء و وجدهن، رقم ١٠٨، حديث رقم ٥٢٢٨)، و مسلم في *فضائل الصحابة* (حديث ٨٠)، و احمد في المسند (١/ ٦، ٢١٣).

ومجرورة بـ «حتى» في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾ (الزمر، ٧٣) و سبقه إلى ذلك ابن جني في الثاني، والأخفش في الثالث.

والجمهور أنكروا ذلک كلّه. وجعلوا «حتى» في الآية حرف ابتدأ داخل على الجملة بأسرها، ولا عمل له، و «إذا» وقعت ظرفاً جوابه محذوف، أي انقسمتم أقساماً، وكنتم أزواجاً و «إذا» الثانية بدل من الأولى، و «إذا» في الحديث ظرف لمحذوف، هو مفعول: أعلم، أي شأنك ونحوه. (جلال الدين السيوطي، بی‌تا، ج ٢، ص ١٣١؛ الزركشي، ١٣٧٦، ج ٤، ص ١٩٤؛ ابن مالک، ١٤٣٧ ق، ص ٩٤)

فالجمهور ينكر خروج «إذا» عن الظرفية ويجيب كل من استدل بخروج «إذا» عن الظرفية. (المرادي، ١٤١٣ ق، ص ٣٧٣)

٣ـ٢ـ٣ـ٢. خروجها عن الاستقبال

خروج إذا عن الاستقبال على وجهين:

أحدهما أن تجيء للماضي، كما جاءت «إذ» للمستقبل[١]، في قول بعضهم، وذلك «مجيء إذا للماضي» كقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا﴾، (التوبة، ٩٢)[٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.[٣] (الجمعة، ١١) (ابن مالک، ١٤٠٥ ق، ج ١، ص ٦٣؛ جلال الدين السيوطي، بی‌تا، ج ٣، ص ١٧٩؛ الزركشي، ١٣٧٦، ج ٤، ص ١٩١ـ١٩٠)

والثاني، أن تجيء للحال، وذلك بعد القسم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾، (الليل، ٢ـ١) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾، (يونس، ١٢) وهي في هذة الآية دلّت على الحال المستمرّة، أي: أنّ الإنسان كلّما مسّه الضر دعا الله سبحانه، و مثله قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾. (ابن هشام، ١٤١٠ ق، ج ١، ص ٩٣؛ جلال الدين السيوطي، ١٩٩٧ م، ج ١، ص ٤٢١)

---

١. فتتعارض الكلمتان، حيث استعملت كل واحدة منهما في معنى الآخر.

٢. هناک إخبار بقضية وقعت في الزمن الماضي، فتكون «اذا» له، و «تولّوا» جوابها.

٣. في الآية إخبار بقضية العير التي قدمت المدينة، والنبي ﷺ يخطب الجمعة، فتفرّقوا عنه حتى لم يبقَ معه منهم إلا اثنا عشر رجلاً، و قد مضت هذه الواقعة قبل نزول الآية فتكون إذا للدلالة على الماضي.

٣ـ٢ـ٣ـ٣. خروجها عن الشرطيّة

خروج إذا عن الشرطية مثالها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى، ٢٧) و قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾، (الشورى، ٣٩) فـ «إذا» فيهما ظرف لخبر المبتدأ بعدها. ومن ذلك «إذا» التي بعد القسم: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾. (اليل، ٢ـ١)[1]

٣ـ٢ـ٤. ناصب إذا

هناك خلاف لدى النحويين في تحديد ناصب «إذا»، فهناك في ناصب إذا مذهبان:

أحدهما: أنّه شرطها «فعل الشرط» وهو قول المحققين، فتكون بمنزلة «متى» و «حيثما» و «أيّان». (رضي الدين الأسترآبادي، ١٩٩٦ م، ج ٢، ص ٩٩)

الثاني، أنه في جوابها من فعل أو شبهه وهو قول الأكثرين ويرد عليهم أمورٌ يذكر في كتاب بعض النحويين. (جلال الدين السيوطي، بی‌تا، ج ٣، ص ١٨١؛ المرادي، ١٤١٣ ق، ص ٣٦٩)

كما أشير آنفاً إنّ مذهب الأول هو رأي المحققين ويوكّد عليه سماحة السيد الرضي. (رضي الدين الأسترآبادي، ١٩٩٦ م، ج ٢، ص ٩٩)

٤. إن

نتطرق في هذا القسم إلى توضيح «إن» وسنشير إلى البعض من صفاتها لتعرف عليها بالكامل.

٤ـ١. توضيح إن

«إن» ترد في كلام العرب على أربعة أوجه:

١. شرطية جازمة، نحو: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾. (الأنفال، ١٩)

٢. نافية، نحو: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، (الملک، ٢٠) و ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾. (التوبة، ١٠٧)

٣. مخفّفة من الثقيلة، نحو: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾. (القلم، ٥١)

٤. زائدة، نحو: «ما إن رأيته». (ابن هشام، ١٤١٠ ق، ج ١، ص ٣٠ـ٢٦)

---

١. عضيمة، بی‌تا، ج١، ص٩٤؛ المرادي، ١٤١٣ ق، ص٣٧٠؛ جلال الدين السيوطي، بی‌تا، ج٣، ص١٧٨؛ رضي الدين الأسترآبادي، ١٩٩٦م، ج٢، ص١١١؛ أبو حيان الأندلسي، ٢٠٠١ م، ج٧، ص٥٢٢؛ العكبري، بی‌تا، ص١١٣٥.

والذي يعنينا من هذه الأوجه الأربعة، هو «إن» الشرطية أو الجزائية، وهي حرف باتفاق النحاة جميعاً، وهناك تمّ التطرّق إلى معنى الشرط فقط من غير الإشارة إلى المعاني التي تودّيها الأداة على سبيل الاشتراك.

تعدّ «إن» أصل أدوات الشرط الجازمة وأشدّها تمكّناً وتاثيراً فهي الأداة الوحيدة التي تتمحّض لمعنى الشرط بحيث لاتنفكّى عنه في الاستعمال، ولإصالتها في باب الشرط وعدم خروجها عنه واختصاصها بأمور لاتوجد في سائر أخواتها أُطلق عليها أمّ الباب، فهي أمّ حروف الجزاء لأنّها على حال واحدة أبدا لاتفارق المجازاة. (سيبويه، ١٤٠٨ ق، ج ٣، ص ٦٣) يقول ابن يعيش: «واعلم أنّ «إن» أمّ هذا الباب للزومها هذا المعنى و عدم خروجها عنه إلى غيره. (ابن يعيش، بی‌تا، ج ٨، ص ١٥٦)

ثم إنّ الشرط «إن» يعمّ ما كان عيناً أو زماناً أو مكاناً، بمعنى أنّها تقتضي الربط من غير إشعار بزمن، ولا شخص، ولا مكان، ولا حال، (ابن عقيل، ١٤٠٠ ق، ج ٣، ص ١٣٣) بينما نجد بقية الأدوات تختصّ إمّا بالعاقل ك «من» أو بغيره كـ «ما»، وإمّا بالزمان كـ «متى»، أو بالمكان كـ «أين» أمّا «إن» فتصلح لذلک كلّه، تقول: «إن تأتني آتک»، و «إن تركب سيارة أركب»، و «إن تسافر يوم الجمعة أسافر»، و «إن تجلس في مكان كذا أجلس»، وهذا كله يدل على سعة الأداة في التصرف وفسحة مجال الورود والاستعمال ممّا جعلها أمّ الباب أو أم حروف الجزاء. وفي ذلك يقول السيوطي: «إن» أصل أدوات الشرط وأم الباب قال ابن يعيش: لأنها تدخل في مواضع الجزاء كلّها وسائر حروف الجزاء لها مواضع مخصوصة، فـ «من» شرط فيمن يعقل، و «متى» شرط في الزمان، وليست «إن» كذلك بل يأتي شرطاً في الأشياء كلها. (جلال الدين السيوطي، ١٩٨٧ م، ج ٢، ص ٢٧٢) وكذلك المبرد يشير إلى ذلك. (المبرد، بی‌تا، ج ٢، ص ٤٩ـ٤٥)

٤ـ٢. صفات إن

في هذا القسم نتطرّق إلى ذكر صفات «إن» لتعرف عليها بالكامل.

٤ـ٢ـ١. معنى إن

الأصل في «إن» وما تضمّن معناها من أسماء الشرط العاملة أن تكون مبهمة، فإذا قلت: «إن تخرج

أخرج معک»، فأنت لاتدري أ يقع منه الخروج أم لا؟ ولهذا فإنّه لايعلّق عليها إلّا ما هو محتمل الوجود والعدم لأنّ باب الشرط مبني على الإبهام، وهذا ما أشار إليه المبرد: «و «إن» إنّما مخرجها الظنّ والتوقع فيما يخبر به المخبر... تقول: «آتيک إذا احمرّ البسر»، لو قلت: «آتيک إن احمر البسر» كان محالاً لأنّه واقع لا محالة». (المبرد، بی‌تا، ج ۲، ص ۵۵) وجاء في شرح ابن يعيش: «ولا تستعمل «إن» إلا في المعاني المحتملة المشكوك كونها، ولذلك قبح «إن احمرّ البسر كان كذا» و «إن طلعت الشمس آتک» إلا اليوم المغيم، (ابن يعيش، بی‌تا، ج ۹، ص ٤) لأن الشرط وهو احمرار البسر وطلوع الشمس معلوم ومتحقق الوقوع فيقبح استعمال «إن» في مثل هذا و إنّما المقام مقام «إذا».

وقد تخرج عن الأصل الذي وضعت له وهو الإبهام، فيليها الفعل المتحقق وقوعه وذلك في مواضع معيّنة يحسن فيها هذا الاستعمال، و من ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾، (الأنبياء، ٣٤) ونحو قولک: «إن متُّ فاقضوا ديني»، فعلّق عليها معلوم الوقوع لأن الموت كائن لا محالة ولا شبهة فيه، وإنّما حسن استعماله بعد «إن» الشرطية لأن زمان وقوعه غير معلوم (ابن يعيش، بی‌تا، ج ۹، ص ٤) قال المرادي: «وقد تدخل على المتيقن وجوده إذا أبهم زمانه». (المرادي، ١٤١٣ ق، ص ٣٦٧)

يقول ابن أنباري: «إنّ ألاداة «إن» تفيد الشك وقد تستعملها العرب وإن لميكن هناك شك جرياً على عاداتهم في إخراج الكلام مخرج الشك ومنه قولهم «إن كنت إبنى فأطعنى» وإن لايشك أنّه إبنه، ومعناه: «من كان ابناً فهذا حكمه». (ابن الأنباري، ۲۰۰۲ م، ج ۲، ص ۵۰۲)

فيبدو ممّا قيل أنّ ألاداة «إن» قد تشرک «إذا» في الدلالة على المعنى المقطوع بحصوله والمتيقن، كما يقول ابن يعيش: «وربّما استعملت «إن» في مواضع «إذا» و «إذا» في مواضع «إن» ولايبيَّن الفرق بينهما لما بينهما من الشركة. (ابن يعيش، بی‌تا، ج ۵، ص ۱۱۳)

٤-۲-۲. ادغام «إن» في حروف أخرى

۱. تمتاز الأداة «إن» بمرونة في التركيب الشرطي أكثر من غيرها من أدوات الشرط؛ مرونة تسمح لها بالتشكل مع حروف أخرى، فهي:

۲. تدغم في «لام الإبتداء» أو «لام القسم» التي تضفى على التركيب تاكيداً، فتصبح «لئن».

٣. تدغم في أداة النفي «لا» فتنقلب نونها لاماً، فتصبح «إلّا» ولايتغير الإعراب. مثال قرآني: «إلا تنصروه فقد نصره الله».

٤. تدغم في أداة النفي «ما» التي تتمحّض للتأكيد عند اتصالها بـ «إن» الشرطية، فتصبح «إمّا». (المسدي والطرابلسي، ١٩٨٥ م، ص ٢٩ـ٢٨)

٤ـ٢ـ٣. صدارتها في القرآن الكريم

تعدّ «إن» من أكثر الأدوات الشرطية استعمالاً واحتلت المرتبة الأولى من بين الأدوات الشرطية، فمن خلال تتبّع موارد «إن» في القرآن الكريم وتصنيف استعمالاتها بحسب المعاني المفهومة منها نجد أن الصدراة لـ «إن» الشرطية في الاستعمال القرآني أيضاً. (مهدي الطيار، ٢٠٠٥ م، ص ١٦٢ـ١٦١)

٤ـ٢ـ٤. دخولها على الجملة الفعلية

تختصّ «إن» الشرطية بالدخول على الأفعال، وهذا الاختصاص ثابت لجميع أدوات الشرط العاملة و ذلك لأنّ الشرط لايكون إلا بالأفعال، يقول المبرّد: «ولاتكون المجازاة إلا بفعل»، (المبرد، بی‌تا، ج ٢، ص ٤٨) وقال ابن يعيش: «الشرط لايكون إلا بالأفعال لأنّک تعلّق وجود غيرها على وجودها، والأسماء ثابتة موجودة ولايصحّ تعليق وجود شيء على وجودها، ولذلك لايلي حرف الشرط إلّا الفعل (ابن يعيش، بی‌تا، ج ٥) وقد ذكر أنّها للاستقبال، وأنّها تخلص الفعل له وإن كان ماضيا. (الرماني، ٢٠٠٨ م، ص ٤٩)

وجاء في شرح المفصّل: «وحقّ «إن» الجزائية أن يليها المستقبل من الأفعال لأنک تشترط فيما يأتي أن يقع شيء لوقوع غيره، فإن وليها فعل ماض أحالت معناه إلى الاستقبال، وذلك قولک: «إن قمتَ قمتُ» والمراد: «إن تقم أقم»، (ابن يعيش، بی‌تا، ج ٥، ص ١٠٦) تقول: «إن خرجت خرجتُ»، والمعنى: «إن تخرج أخرج». (الجرجاني، ١٩٨٢ م، ج ٢، ص ١٠٩٥)

ومودّى هذا الكلام أنّ الفعل الماضي في التركيب الشرطي يكون ماضياً لفظاً أمّا المعنى فإنّه يصبح دالاً على الاستقبال، فإنّه يتخلّى عن دلالته الزمنيّة الأصلية و يكتسب دلالة الزمن الشرطي، ويؤتى بالتركيب الشرطي على هذا النمط للدلالة على قطعية الحدوث. وفي ذلك يقول ابن جنّي:

«وكذلك قوله: «أن قمتَ قمتُ»، فيجيء بلفظ الماضي و المعنى معنى المضارع و ذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقرّ لا أنّه متوقّع مترتّب». (ابن جنّي، بی‌تا، ج ۳، ص ۱۰۵)

تتنوع الأنماط التي يأتي بها الأسلوب الشرطي، وقد صنّف النحاة أنماط الجملة الشرطية معتمدين على صيغ الأفعال في فعل الشرط وجوابه. فإذا كان الشرط والجواب جملتين فعليتين فيكونان على أربعة أنحاء رئيسية، وهي كما يلي:

جملة الشرط	المثال	جملة الجواب	المثال
مضارع	﴿وَإِنْ تَعُودُوا	مضارع	نَعُدْ﴾ (الأنفال، ۱۹)
ماض	﴿وَإِنْ عُدْتُمْ	ماض	عُدْنَا﴾ (الإسراء، ۸)
ماض	«وإن أتاه خليل يومَ مسألةٍ	مضارع	يقول: لا غائبٌ مالی و لا حرمُ» (زهير بن أبي سلمى نقله ابن يعيش)
مضارع	«إن يسمعوا ربية	ماض	طاروا بها فرحا» (قعتب بن أم صاحب نقله الصابوني ۲۰۷)

وأفضل صورة للجملة الشرطية هي أن يكون فيها فعل الشرط وجوابه بصيغة واحدة، بمعنى أن يتماثل فعل الشرط وجوابه في الصيغة، وفي ذلك يقول سيبويه: «فإذا قلت: «إن تفعل» فأحسن الكلام أن يكون الجواب «أفعل» لأنّه نظيره من الفعل. وإذا قال: «إن فعلتُ» فأحسن الكلام أن تقول «فعلت» لأنه مثله. فكما ضعُف «فعلتُ» مع «أفعل»، و «أفعل» مع «فعلتُ»، قبُح لم «أفعل» مع «يفعل»، لأنّ «لمأفعل» نفي «فعلتُ» و قبُح «لاافعل» مع «فعلَ» لأنها نفي «أفعلُ». (سيبويه، ۱۴۰۸ ق، ج ۳، ص ۹۲ـ۹۱)

وكان الرضي يرى أنّ أقوى صور الجلمة الشرطية وأفضلها هو أن يكون فعل الشرط وجوابه مضارعين، إذ يقول: «والأجود كونهما مضارعين، تطبيقاً للفظ بالمعنى». (رضي الدين الأسترآبادي، ۱۹۹۶ م، ج ۲، ص ۲۶۰؛ المبرد، بی‌تا، ج ۲، ص ۴۹)

أمّا النمط الثالث، فهو في الكلام قليل، ولم‌يرد منه شيء في القرآن الكريم، ويبقى الماضي في هذه الصورة مبنياً، أمّا المضارع فقال فيه بعض النحاة إنّه يكون مرفوعاً، والأصل جزمه والمقام

لايقتضي الخوض في الخلافات والآراء الواردة في الموضوع. (الحاج إبراهيم، بی‌تا، ص ۱۲)

أمّا الصورة الأخيرة التي يكون فيها فعل الشرط مضارعاً، وجوابه ماضياً فهي تتصف بالندرة، فقد وصف جمهور النحاة بأنّها أضعف الصور وأقلّها استعمالا، (ابن عقيل، ١٤٢٦ ق، ج ٢، ص ٣٤١) ولم‌يرد منه شيء في القرآن الكريم، لكن ابن مالك رأى الحكم بجوازه مطلقاً لثبوته في كلام أفصح الفصحاء وكثرة صدوره فحول الشعراء. (الصابوني، بی‌تا، ص ٢٠٧)

٥. وجوه التشابه بين إن وإذا

فبعد ذكر التوضيحات والتعرف على كلتا الأداتين الشرطية، يذكر هناك وجوه التشابه والصفات التي تشترك في كلتيهما.

١. **هناك شبه بين «إن» و «إذا» الظرفية الشرطية في إفادة التعليق والربط بين جملتين**، على أنّ مفهوم الارتباط الذي تودّيه «إن» يختلف عن ذلك الذي تؤدّيه «إذا».

***الأمثلة القرآنية:**

﴿**فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**﴾. (البقرة، ١٩٦)

﴿**فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾. (آل عمران، ٢٥)

٢. كلاهما تعّد من **أداة الشرط وتدخل على الجملة الفعلية.**

***الأمثلة القرآنية:**

﴿**وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾. (الأعراف، ١٤٣)

﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا**﴾. (الروم، ٣٦)

٣. كلاهما إذا تدخلان على الجملة الإسمية قد قدّر فعل كما ذكر في مبحث «إذا» و «إن» الشرطية.

***الأمثلة القرآنية:**

﴿**إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**﴾. (الإنشقاق، ١)[1]

﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾. (التوبة، ٦)

---

١. انه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير، لا متبدأ، خلافا للأخفش.

٤. كلاهما تحتاجان إلى الجواب لتضمّن معنى الشرط، وجوابها يكون جملة الفعلية التي تصلح أن تقع جملة الشرط، فإذا لم‌يكن هكذا جوابهما فتدخل عليه «الفاء».

***الأمثلة القرآنية:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾. (الأنفال، ٤٥)

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾. (الزخرف، ٨١)

٥. كلاهما لهما الصدارة في الكلام، فلايتقدم جزءاً من الجملة عليهما.

***الأمثلة القرآنية:**

﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾. (الأنعام، ٣٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾. (البقرة، ٢٨٢)

٦. وجوه التفاوت

لقد شبّه بين «إن» و «إذا» الظرفية الشرطية في بعض الصفات على أنّ بينهما التفاوتات. وقد فرّق النحاة بين هاتين الأداتين الشرطية وهناك يشار إلى هذا الفرق.

***الأمثلة القرآنية:**

التفاوت من جهة المعنى

١. إنّ «إذا» تختصّ بدخولها على المتيّن، والكثير الوقوع، بخلاف «إن» فإنّها تستعمل في محتملة الوقوع والمشكوك والموهوم والنادر والمستحيل.

*** (إن):**

ـ محتملة الوقوع:

• ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾. (البقرة، ٢٣٠)

• ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾. (المائدة، ٦)

ـ المشكوك في حصولها:

• ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾. (الأعراف، ١٤٣)

ـ المفترضة التي لا وقوع لها في المشاهدة:

• ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾. (القصص، ٧١)

ـ المستحيل:

• ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾. (الزخرف، ٨١)

• ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾. (الرحمن، ٣٣)

*** (إذا):**

ـ مقطوع بحصوله

• ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾؛ (البقرة، ١٨٠) فإنّ كل واحد منا سيحضره الموت.

• ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. (آل عمران، ٢٥)

ـ ما يقع كثيرا:

• ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾. (النساء، ٨٨)

• ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾. (الأعراف، ٢٠٤)

ـ مثال لكليهما:

• ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾. (الأعراف، ١٣١)

توضيح ذلك: أتى في جانب الحسنة بـ «إذا»، لأن نعم الله على العباد كثيرة ومقطوع بها، و «إن» في جانب السيئة لأنّها نادرة الوقوع، ومشكوك فيها.

• ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾. (البقرة، ١٨٠)

توضيح ذلك: فجاء في حضور الموت، بـ «إذا» لأنّه واقع ولابدّ، وأمّا ترك الخير وهو المال فهو أقلّ فجاء معه بـ «إن». (السامرائي، ٢٠٠٧ م، ج ٤، ص ٦٥)

٢. تخالف «إذا» و «إن» في إفادة العموم، وأشار إليه ابن عصفور فإذا قلت: «إذا قام زيد، قام عمرو» أفادت أنّه «كلّما قام زيد، قام عمرو»؛ (جلال الدين السيوطي، بی‌تا، ج ٢، ص ١٣٣) هذا يعني أنّ «إذا» تدل على زمن محدّد، أمّا «إنّ» فهي مبهمة.

***الأمثلة القرآنية:**

ـ ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾. (المائدة، ٢)

ـ ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾. (البقرة، ١٩٦)

التفاوت من جهة اللفظ:

١. «إن «تعدّ اداة جازمة و «إذا» تعدّ غير جازمة، وإنّ سبب منع هذه الأداة من الجزم يعود إلى المعنى الذي تدل عليه.[1]

***الأمثلة القرآنية:**

ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾. (يونس، ١٥)

ـ ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾. (النساء، ١٤٩)

٢. لما كانت «إذا» تفيد الجزم، بالوقوع، غلب معها لفظ الماضي لكونه أدل على الوقوع وأقرب إلي القطع من المستقبل باعتبار لفظه، بخلاف «إن» التي تستعمل في المعاني المحتملة، والمشكوك فيها فإنه غلب معها الفعل المضارع.

***الأمثلة القرآنية:**

ـ ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾. (الأعراف، ١٣١)

٣. بما أنّ «إذا» تسختدم غالبا ظرفية، فتحتاج إلى عامل ناصبٍ لتتعلّق عليه، خلافا لـ «إن» فإنها لاتحتاج إلى عامل ناصب لأنه تعد حرفاً.

***الأمثلة القرآنية:**

ـ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾؛ (الأعراف، ٣٤) فكما ذكر سابقا رأى المحققين هو أن فعل الشرط هو يعدّ ناصب «إذا».

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾؛ (البقرة، ٢٣٠) فـ «إن» من حيث أنها تعدّ حرفا، لايعمل فيه أي عامل.

---

١. كما ذكر سابقا؛ يذكر سيبويه: «إنّ «إذا» تجيء وقتا معلوما، ألا ترى أنك لو قلت: «آتيك إذا احمرّ البسر» كان حسناً، ولو قلتَ: «آتيك إن احمرّ البسر»، كان قبيحاً، فـ «إن» أبداً مبهمة وكذلك حروف الجزاء». (سيبويه، ١٤٠٨ ق، ج٣، ص٦٠)

٤. إن «إذا» تعدّ إسماً مبنياً و «إن» تعد حرفاً، فتختصّان بميزات وأحكام.

***الأمثلة القرآنية:**

ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾. (البقرة، ٢٣٢)

ـ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾. (المائدة، ٦)

٥. تعدّ «إن» أمّ الباب خلاف لـ «إذا»، لأنّها تدخل في مواضع الجزاء كلّها وسائر حروف الجزاء لها مواضع مخصوصة، فـ «من» شرط فيمن يعقل، و «متى» شرط في الزمان، وليست «إن» كذلك بل يأتي شرطاً في الأشياء كلها.

***الأمثلة القرآنية:** الأمثلة التي تم ذكرها آنفاً تصلح أن تكون مثالا لهذا المورد.

٦. ادغام «إن» في بعض الحروف خلافا لـ «إذا».

***الأمثلة القرآنية:**

ـ ادغامه في «لام الإبتداء» أو «لام القسم» التي تضفى على التركيب تاكيداً:

• ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. (إبراهيم، ٧)

• ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (الزمر، ٦٥)

ـ إدغامه في أداة النفي «لا» فتنقلب نونها لاماً:

• ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾. (التوبة، ٤٠)

٧. النتيجة

فتعرّفنا في هذه المقالة على أنّ «أن» و «إذا» تشتركان في صفات وتختلفان وتفارقان في صفات أخرى، فيقدّم هناك في ما حصلنا عليه في دراسة وجوه التشابه والتفاوت بين هاتين الأداتين الشرطية:

ـ وجوه التشابه:

١. تشتركان «إن» و «إذا» الظرفية الشرطية في إفادة التعليق والربط بين جملتين. على أنّ مفهوم الارتباط الذي تودّيه «إن» يختلف عن ذلك الذي تؤدّيه «إذا».

٢. تشتركان في أنهما أداة الشرط وتدخلان على الجملة الفعلية.

۳. تشتركان في أنهما إذا تدخلان على الجملة الإسمية قد قُدّر فعل.

٤. تشتركان في الصدارة في الكلام.

٥. كلاهما إذا لم يكن جوابهما صالحاً لأن يقع جملة الشرط، فتدخل عليه «الفاء».

ـ وجوه التفاوت:

• التفاوت من جهة المعنى:

١. إنّ «إذا» تختصّ بدخولها على المتقيّن، والكثير الوقوع، بخلاف «إن» فإنّها تستعمل في محتملة الوقوع والمشكوك والموهوم والنادر والمستحيل.

٢. تخالف «إذا» و «إن» في إفادة العموم، يعني أنّ «إذا» تدلّ على زمن محدّد، أمّا «إنّ» فهي مبهمة.

• التفاوت من جهة اللفظ:

١. تخالف «إذا» و «إن» في احتياج إلى عامل ناصب، فـ «إذا» تفتقر إلى ناصب خلافاً لـ «إن».

٢. تخالف «إذا» و «إن» في أنّ «إن» تعدّ أداة جازمة خلافاً لـ «إذا»، فإنها تعد أداة غير جازمة.

٣. لمّا كانت «إذا» تفيد الجزم، بالوقوع، غلب معها لفظ الماضي، بخلاف «إن» التي تستعمل في المعاني المحتملة، والمشكوك فيها فإنه غلب معها الفعل المضارع.

٤. إنّ «إذا» تعدّ إسماً مبنياً و «إن» تعد حرفاً.

٥. تعدّ «إن» أمّ الباب خلاف لـ «إذا».

٦. إدغام «إن» في بعض الحروف كـ «لام الابتداء» أو «لام القسم» أو «لا النافية» خلافا لـ «إذا».

المصادر

القرآن الكريم.

١. ابن الأنباري، أبوالبركات عبدالرحمن بن محمد (٢٠٠٢ م). ***الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين*** (الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة الخانجي.

٢. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي (بی‌تا). ***الخصائص*** (بی‌چا). القاهرة: دار الكتب المصرية.

٣. ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن (١٤٠٠ ق). ***المساعد على تسهيل الفوائد*** (بی‌چا). دمشق: دارالفكر.

٤. ـــــــــ، (١٤٢٦ ق) ***شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*** (الطبعة الثالثة). تهران: استقلال.

٥. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي (١٤٣٧ ق). ***شرح التسهيل*** (الطبعة الأولى). قم: ذوى القربى.

٦. ـــــــــ ، (١٤٠٥ ق). ***شَوَاهِدِ التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح*** (الطبعة الأولى). بی‌جا: مكتبة ابن تيمية.

٧. ابن هشام، عبدالله بن يوسف (١٤١٠ ق). ***مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*** (الطبعة الرابعة). قم: مكتبة آيةالله المرعشي النجفي﵀.

٨. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (بی‌تا). ***شرح المفصّل*** (بی‌چا). مصر: إدارة الطباعة المنيرية.

٩. أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي (بی‌تا). ***المقتضب*** (بی‌چا). بيروت: عالم الكتب.

١٠. أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (١٤٠٨ ق). ***الكتاب*** (الطبعة الثالثة). القاهرة: مكتبة الخانجي.

١١. أبوحيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٢٠٠١ م). ***تفسير البحر المحيط*** (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٨٢ م). ***المقتصد في شرح الإيضاح*** (بی‌چا). العراق: دار الرشيد للنشر.

١٣. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٨٧ م). ***الأشباه والنظائر في النحو*** (بی‌چا). دمشق: مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٤. ـــــــــ، (١٩٩٧ م). ***المطالع السعيدة في شرح الفريدة*** (بی‌چا). العراق: جامعة المستنصرية.

١٥. ـــــــــ، (بی‌تا). ***همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*** (بی‌چا). مصر: المكتبة التوفيقية.

١٦. الحاج إبراهيم، زيان احمد (بی‌تا). ***إن الشرطية في القرآن الكريم*** (بی‌چا). بی‌جا: أبحاث لغوية.

١٧. ديوان السعيدي، يسرى خلف سمير (٢٠٠٩ م). ***الأسلوب الشرط في نهج البلاغة*** (دراسة نحوية

تطبيقية) (بی‌چا). العراق: الجامعة المستنصرية.
۱۸. رضي الدين الأسترآبادي، محمد بن حسن (۱۹۹۶ م). ***شرح الرضي على الكافية*** (الطبعة الثانية). بنغازي: دار الكتب الوطنية.
۱۹. الرماني، أبي الحسن علي بن عيسى (۲۰۰۸ م). ***معاني الحروف*** (بی‌چا). بيروت: المكتبة العصرية.
۲۰. الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (۱۳۷۶). ***البرهان في علوم القرآن*** (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
۲۱. السامرائي، فاضل صالح (۲۰۰۷ م). ***معاني النحو*** (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
۲۲. الشمسان، أبو أوس ابراهيم (۱۹۸۱ م). ***الجملة الشرطية عند النحاة العرب*** (بی‌چا). مصر: مطابع الدجوى.
۲۳. الصابوني، عبدالوهاب (بی‌تا). ***الباب في النحو*** (بی‌چا). بيروت: دار مكتبة الشرق.
۲۴. صبان، محمد بن علي (بی‌تا). ***حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك و معه شرح الشواهد للعيني*** (بی‌چا) . بيروت: المكتبة العصرية.
۲۵. عضيمة، محمد عبدالخالق (بی‌تا). ***دراسات لأسلوب القرآن الكريم*** (بی‌چا). القاهرة: دار الحديث.
۲۶. العكبري، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين (بی‌تا). ***التبيان في إعراب القرآن*** (بی‌چا). بی‌جا: دار إحياء الكتب العربية.
۲۷. فؤدة، علي (۱۹۷۶ م). «الشرط بـ «إن» و «إذا» في القرآن الكريم» (بی‌چا). السعودية: مجلة ***كلية الآداب جامعة الرياض***.
۲۸. الكاظمي النجف‌آبادي، سميّه و... (۱۳۹۳ ق). ***أسلوب الشرط بين العربية والفارسية*** (دراسة تقابلية) (بی‌چا). قم: مجمع ذخائر اسلامی.
۲۹. الكريري، ناصر بن محمد بن ناصر (۱۴۲۵ ق). ***أسلوب الشرط بين النحويين والأصوليين*** (بی‌چا). الرياض: جامعة محمد بن سعود الإسلامية.
۳۰. المرادي، حسن بن قاسم (۱۴۱۳ ق). ***الجنى الداني في حروف المعاني*** (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
۳۱. المسدى، عبدالسلام، ومحمد الهادى الطرابلسي (۱۹۸۵ م). ***الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية*** (بی‌چا). تونس: الدار العربية للكتاب.
۳۲. مهدي الطيار، رزاق عبدالأمير (۲۰۰۵ م). ***معاني الحروف الثنائية والثلاثية بين القرآن الكريم ودواوين الشعراء العلقات السبع*** (بی‌چا). العراق: جامعة بغداد. كلية تربية الأولى (ابن رشد).